باب التقريظ والانتقاد

التقرير السنوي
لدار العلم السمثسونية

صدر هذا التقرير عن سنة ١٩١٤ وهو يقع في ٧٣٠ صفحة بحرف دقيق وقد افتتحهُ سكرتير مجلس الادارة العامل بتقرير مسهب عن مالية هذه الدار ومباحث اساتذتها والعلماء المتصلين بها في الطيران والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات والانسان والفلك والتاريخ واحوال المتحف الوطني المتصل بها وما اضيف اليهِ تلك السنة من الامثلة والتحف . واحوال بستان الحيوانات والمرصد الفلكي الطبيعي والمكتبية والمطبعة ومجلس الادارة . وقد شغل هذا التقرير ١٣٣ صفحة ويليهِ ٣٢ مقالة لكبار العلماء واكثرها في المواضيع العلمية المحضة مثل اشعاع الشمس والآراء الحديثة فيها وشكل الارض وبنائها وتركيب الجوهر الفرد وثبوت الاوربلان والاقليم في العصور الجيولوجية وجيولوجية قاع البحر ونحو ذلك من المواضيع العلمية المفيدة

تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها

مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من اول عهد التاريخ الى اليوم لمؤلفهِ نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة المعارف بمصر وصاحب تاريخ السودان

نعوم بك شقير مؤلف هذا الكتاب النفيس مجدَّة مولع بجمع الحقائق التاريخية وتبويبها وتنسيقها . وقد اختار حتى الآن موضوعين من اصعب المواضيع التاريخية التي ينكب المؤرخون عن الكتابة فيها لوعورتها وقلة المواد التي يسهل الوصول اليها فيها . فاذا اراد الكاتب ان يكتب عن تاريخ المصريين الاقدمين او اليونان او الرومان او الفرس او العرب او الانكليز او الفرنسويين او امثالهم من الامم القديمة والحديثة وجد المواد متوفرة لديهِ من مؤرخي تلك الامم واما جمع تاريخ مطول عن السودان فلا يقدم عليهِ الأرجل ذو همَّة عالية وصبر عظيم وغرام شديد بجمع الحقائق والاخبار التاريخية . وما فعلهُ نعوم بك في تاريخ السودان فعلهُ في تاريخ سينا فجاء دائرة معارف عن ذلك القفر وسكانهِ وكل ما

يتصل بهِ قديمًا وحديثًا فملأ نحو ثمانمئة صفحة كبيرة . وحالما وقع نظرنا عليهِ والتفتنا الى فهرسهِ لاح لنا انهُ جرى فيهِ مجرى الاجسام الحيَّة النامية اي انهُ توسع في الموضوع رويدًا رويدًا حسب مقتضى الحال فاستطرد من الكلام على تاريخ سيناء القديم والحديث الى الكلام على كل ما لهُ علاقة بسيناء من تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وسكان هذه البلدان الحاضرين والغابرين ثم التفتنا الى مقدمتهِ فوجدنا انهُ اوضح ذلك كلهُ فيها احسن ايضاح حيث قال

« كان لي اتصال بسيناء منذ دخلت ادارة المخابرات بوزارة الحربية سنة ١٨٨٩ ثم لما حدثت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ عينت سكرتيراً للجنة المصرية التي ندبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية

« ولما كانت سيناء على اتساعها وشهرتها التاريخية وقربها من مصر مجهولة عند عامَّة المصريين وكان تاريخ السودان الذي فرغت من تأليفهِ سنة ١٩٠٤ قد لقي عند القراء الكرام اقبالاً لم اكن اتوقعهُ حملني ذلك على وضع تاريخ سيناء على مثال تاريخ السودان . فشرعت منذ ندبت مع لجنة الحدود في جمع كل ما امكن جمعهُ من الحقائق التاريخية والجغرافية لاسيما وقد كان عليَّ ان اتحرَّى تاريخ عرب الحدود وملكيتهم للاراضي والمياه وعلاقاتهم الحاضرة والماضية مع مصر وسوريا . ولكن ما عتمت ان وجدت دون جمع الحقائق التاريخية من بدو سيناء عقبات كؤودة اهمها اولاً ان بدو سيناء على غاية الخشونة والجهل لا علم لهم ولا شبه علم بل ليس في بادية سيناء كلها من يحسن القراءة والكتابة وثانيًا ان اهل القبيلة الواحدة يجهلون كل الجهل بلاد القبائل المجاورة لهم وليس من يعرف احوال القبائل كلها من اهل سيناء الاَّ افراد قليلون يعدون على الاصابع . وثالثًا ان اكثر مشايخ القبائل في سيناء لا يعرفون من تاريخ قبائلهم وجغرافية بلادهم الاَّ اليسير وهذا اليسير لا يمكن الحصول عليهِ الاَّ بعد بذل الجهد لان البدو متكتمون الى الغاية عن الحكام خوفًا من التعرُّض لامورهم وادخال قانون القرعة في بلادهم

« على ان هذه العقبات التي لم اكن اتوقعها لم تكن لتثنيني عن عزمي بل بذلت الجهد في تذليلها . فكنت حيثما نزلت اجمع المشايخ والخبراء واتلطف في تسقُّط اخبارهم واستقصاء احوالهم مبينًا لهم ان ذلك في مصلحتهم . ولم اكن اكتفي بسؤال واحد منهم عن اية حقيقة كانت ولو انهُ امم مكان بل كنت اطرح السؤال انواحد على اثنين او اكثر واسأل كلاً منهم على انفراد ثم اجمعهم اذ اقتضى الامر واسألهم السؤال عينهُ حتى استوثق من صحة

الجواب فاثبتهُ في يوميتي كما فعلت في تمحيص حقائق تاريخ السودان . ثم انهُ لم تسنح لي فرصة لاختبار البلاد واهلها بنفسي الاَّ اغتنمتها فزرت البدو مراراً في مخياتهم وحضرتُ افراحهم ومراقصهم وغنائم وسباقهم على الخيل واجتماعاتهم العمومية والخصوصية وجولت في انحاء الجزيرة في الجهات التي قضت عليَّ المصلحة بالتجوال فيها وفي كثير غيرها . وكنت في اثناء ذلك ابحث عن آثار البلاد القديمة والحديثة ولاسيما العربية منها فعثرت على كثير من النقود القديمة والحصون الأثرية والحجارة التاريخية الهيروغليفية واليونانية والنبطية والعربية مما زادني علماً باحوال البلاد وتاريخها القديم والحديث

« هذا وقد كشف لي البحث في آثارها عن عادة جميلة لاهلها كانت عوناً لي على استطلاع الكثير من اخبارها وحوادثها التاريخية والتقليدية . وذلك انهم اعتادوا تخليد كل عمل جليل أو حادث هام حدث في الجزيرة بان يقيموا له « رجماً » وهو حجر ابيض او كومة من الحجارة « على ماء شهير او درب جهير » — او يرسموا بضع دوائر او تلماً عن جانبيهِ حفر . وهم يعنون كل العناية باحياء هذه الرجم والرسوم

« ومن جملة عادات البدو التي اطلعت عليها في اثناء البحث فكنتني من معرفة الكثير من غزواتهم وحروبهم الحديثة انهم ينظمون القصائد في كل غزوة او حرب شهيرة ويستظهرونها ويتوارثونها خلفاً عن سلف

« وقد دامت مهمة الحدود خمسة اشهر قضيتها كلها في ارض سيناء وبين اهلها فما انتهيت من المهمة حتى كان قد اجتمع عندي من الحقائق التاريخية والجغرافية واحوال البلاد واهلها قديماً وحديثاً ما يملأ مجلداً كبيراً

(مستندات التاريخ) فلما رجعت الى مصر في اوكتوبر سنة ١٩٠٦ باشرت وضع التاريخ الذي عزمت عليهِ فوجدت المعلومات التي جمعتها في التاريخ القديم والاجيال المتوسطة لا تزال قاصرة جداً فنقبت في كتب الاقدمين والآثار المصرية القديمة في التوراة . وكتابي « بلر العمران » « وجهاد الامم » للسير ماسبرو العالم الأثري الفرنساوي . وكتاب « مباحث في سيناء » للمستر فلندرس بتري العالم الأثري الانكليزي . وفي كتب مؤرخي العرب كالمقريزي . والمسعودي . واليعقوبي . والهمذاني . وابي الفداء . وغيرهم فجمعت منها حقائق جمة عن تاريخ سيناء القديم

« وبلغني ان في بلدة الطور كتاباً يدعى « الام » انشىء في قلعة الطور القديمة وفيهِ كثير من اخبار سيناء في القرون التي بعد الالف للهجرة . وكنت اتوق جداً الى مطالعة

الكتب والمستندات العربية التي في دير طور سيناء الشهير فاتفق اني نُدبت لمهمة الى بلاد الطور في ابريل سنة ١٩٠٧ . فررت مدينة الطور والدير واطلعت على كتاب « الام » في الطور وكتب شتى عربية في الدير وقفت منها على كثير من الحقائق التاريخية في الاجيال المتوسطة . وعدت الى مصر وانكببت على العمل فلم تنتهِ سنة ١٩٠٧ حتى اتممت الكتاب فجاء في ثلاثة اجزاء كبيرة وهي :

« الجزء الاول) في جغرافية سيناء الطبيعية والادارية . وفيهِ ذكر حدودها واراضيها . وجبالها . واوديتها . ومياهها . ومعادنها وهوائها . ونباتاتها . وحيواناتها . وسكانها . ومدنها وقراها . وديرها . وطرقها . وآثارها . وحكومتها وغير ذلك

« (الجزء الثاني) في بداوة سيناء وفيهِ ذكر لغة اهلها . وديانتهم . ومعارفهم . وزراعتهم . وتجارتهم . وعاداتهم . وخرافاتهم وقضائهم ومحاكمهم . وشرائعهم . واحكامهم . مع نقد شريعة البدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم

« (الجزء الثالث) في تاريخ سيناء القديم والحديث . ويشمل تاريخ السكان الاصليين مع الفراعنة . وتغرب بني اسرائيل في سيناء . ومملكة النبط في البتراء . وتاريخ دير طور سيناء . وتاريخ سيناء في عهد اليونان والرومان والفتح الاسلامي الى هذا العهد . وحروب البدو في سيناء في عهد الاسرة العلوية . وتفصيل حادثة الحدود وغيرها

« هذا وقد جعلت تحت كل جزء ابواباً وتحت كل باب فصولاً تناولت جميع مباحث التاريخ القديم والحديث والجغرافية فجاء اوفى كتاب أُلف في سيناء في الافرنجية او العربية الى هذا العهد . وقد تفرد عن الكتب الافرنجية والعربية في المباحث الآتية :

« ١ . الحجارة التاريخية العربية ومنها الحجارة التاريخية في قلعة صلاح الدين الايوبي على عين سدر * ٢ . جلُّ ما جاء في كتب مؤرخي العرب عن سيناء واهلها * ٣ . لغة بدو سيناء وديانتهم وعاداتهم واخلاقهم وشرائعهم * ٤ . غزوات اهل سيناء وحروبهم الحديثة المأخوذة عن وجوههم وتقاليدهم واشعارهم * ٥ . كتاب الام وكتب الدير العربية

« ولما تم الكتاب على هذا المنوال وهممت بتقديمهِ للطبع عرضت لي موانع لا محل لذكرها هنا اخرت طبعهُ الى شتاء سنة ١٩١٤ فاضفت اليهِ ما جدَّ عندي من الحوادث والمعلومات عن سيناء واهلها منذ اواخر سنة ١٩٠٧ و باشرت الطبع

« (الخاتمة) ولكن لم يتم طبع الجزئين الأولين منهُ حتى قامت الحرب الشؤمة الحاضرة ودخل الاتحاديون الحرب في جانب الالمان وجردوا جيشاً من سوريا والعراق والحجاز على

الانكليز في مصر عن طريق سيناء فوقفت الطبع ريثما تنتهي الحملة فاجعلها خاتمة الكتاب ثم خطر لي ان اضمّن الخاتمة جميع الحملات التي حملها الغزاة على مصر بطريق سيناء ثم توسعت في ذلك فراجعت التاريخ القديم والحديث واخذت خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وكل ما كان بين مصر وجاراتها من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها عن طريق سيناء واضفت اليه وصف جزيرة العرب وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده في بلادهم وخارج بلادهم وحركة السنوسي في الغرب وتاريخ السوري في مصر وغير ذلك من المباحث التي اوجبتها الحرب الحاضرة وجعلت هذه الخلاصة مع وصف الحملة الاخيرة على مصر «خاتمة الكتاب» انتهى

والكتاب كما وصف مؤلفهُ بل ان من يتصفحهُ يجد فيهِ من الفوائد اكثر مما تدلُّ عليهِ هذه المقدمة ويأسف جدًّا لان المؤلف لم يتمكن من الحاقهِ بفهرس مسهب على حروف المعجم بل باكثر من فهرس واحد تسهيلاً للمراجعة واجتلاء الفوائد وحبذا لو لم يذكر من الاعلام الاَّ من تقتضي حوادث الكتاب ذكر اسمائهم حتى لا يكون اسم الشخص ومقامهُ مقصودين بالذات فلا يعتب عليهِ الذين لم يذكرهم مع غيرهم وهم حريون بالذكر معهم لا سيما وانهُ لا يحسن بالمؤلف ان يجعل اعتقادهُ حكمًا في مقامات معاصريهِ

والكتاب مطبوع طبعًا حسنًا جدًّا وفيهِ كثير من الصور بعضها في متنهِ وبعضها مطبوع وحدهُ على ورق صقيل وحبذا لو طبعت كلها كذلك لتزيد وضوحًا ويقيننا ان القراء سيقبلون عليهِ كما اقبلوا على تاريخ السودان

المفيد

مجلة علمية ادبية مدرسية تصدر في الشهر مرتين لصاحبها ومديرها المؤثل علي افندي امين قال في فاتحتها انهُ رأى في كيان الصحافة العلمية المصرية فراغًا فجاءت المجلة وسط لا يعبي بفهمها ناشئ ولا يعجز عن اخذ مادتها مستفيد تكون انيسًا للطالب في وحدتهِ وسميرًا للغريب في غربتهِ ومرجعًا للباحث في حيرتهِ فاعدَّت نفسهُ لسد ذلك الفراغ القديم بهذه المجلة الجديدة وبلى ذلك مقالة حسنة في النهضة العلمية العربية اشار فيها الى الشعراء الذين حاولوا صدع قيود الشعر والشذوذ عن طريقتهِ القديمة كالشريبني الذي كتب في عام ٦٨٧ قصيدة باللغة المصرية العامية اسمها من القاووق يسخر فيها من عادات الفلاحين ولغتهم ويطعن فيها على معلومات الفقهاء واخلاقهم ولكن ريح التقليد انتسفت عملهُ الجليل فضاع شعرهُ في غمار القصائد التقليدية